

# عبد الغني النابلسي بين العدمية والحياة

هدى النعماني

- ١ -

« قال تعالى : وأسجدوا لخالقكم .  
 هما سجدة .  
 الأولى أن تسجد بك فيه .  
 الثانية أن تسجد به فيك .



والثانية سبت باسم الاقتراب . ولم تسمى  
 باسم السجدة .

مع أنها سجدة في الحقيقة . لأنها معها بدلت  
 الارض غير الارض والسموات ، وهي حقيقة قباب  
 قوسين . وعندها تذهب نقطة الغين عن العين والله  
 الهادي والموفق .»

النابلسي (١)

بهذا التيقظ للتيقظ والفهم ، اشتغل بعض الأئمة  
 ومنهم العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي باطنًا وظاهرًا ،  
 ومالت أهدابهم نحو الضوء ، حتى أعظم الذنوب .  
 بهذا التيقظ للنفلة عن هذه النفلة ، كتبوا الأراجيز  
 بذهب « كان الثاني منه أشد من الأول ، ولم يرفعوا  
 شعرة بيضاء عن شعرة سوداء ، بل لم يرفعوا البصر

عن مسبوكة كانت أقرب الى الجنون ، وقلوبهم حنطة  
 ترقص وتدور ، حسب ايقاعات أشبه بالغرور في  
 الاكوان ، وجزموا ونفوا أن كل شيء « هو » حتى  
 هم ، وسكروا وأذنبوا وغمروا الفجر وهتفوا ،  
 وهتكوا الفجر ، واستتروا ، ودكوا الجبل عن الظهر  
 الناري ، وسجنوا تحت اسم الرحمن عشبة تطلب  
 الري مقام الذنب ، مستعينة عن المطر المطر بالطاعة  
 والتجلي ووضع العرش ان قلبت حروفه ، وسوا  
 بالمتصوفة .

وما زالوا حتى اليوم عبر فتح السنين ورقائقها ،  
 بتصانيعهم ودراساتهم ، بأشعارهم ونفحاتهم البسمة  
 للفر على ثغر الاسلام فيما كان الاسلام ملتها تارة  
 بيد الغزاة والجبر ، او ممزقا تارة بيد المعصية والجهل ،  
 وما فتئوا ، مهما فاضت الارض درا ولدى ، باصفرارهم  
 وعقايرهم واشتياقهم وصبواتهم ، المغفرة الطاهرة  
 على شمس الحب .

- ٢ -

« ان من بعض ماهي الأطوار  
 لي مقام فيه اسمه الأغيار



وهو زيد كذا وعمره وبكر  
وبهم فيه تشد الاشمار

فاذا قلت فيه قال فلان  
وفلان فانها استنان

لعم القائل الذي قد ذكرنا  
لكن الكثر نحن وهو الجدار

وهو جفن من الجفون لعيني  
وأنا الجسم منه وهو الشمار

وأنا اللب والبرية قشر  
وأنا الوجه والجميع خمار

كلهم في مدار روجي حروف  
وأنا الشمس والسوى أقمار

والذي عندهم من العلم طل  
والذي منه عندنا فبحار

بنة" غردت عليها طيور  
أنا وحدي من بينهن الميذار

أنا عبد الفني مع من ممي في  
هذه الحال والفنى افتقار

ربنا الله في جميع المجالي  
ما على وجهها الجميل غبار

والأجاء حضرة البسط تجلّى  
من هوانا عليهم الاسرار »

النابلسي (٢)

( هو الشيخ عبد الفني ابن اسماعيل بن عبد الفني  
ابن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم المعروف كاسلافه  
بالنابلسي الحنفى الدمشقي النقشبندى القادري

استاذ الاساتذة وجهذ الجهابذة ، ولد في دمشق في  
الخامس من ذي الحجة سنة خمسين وألف ، وكان  
والده مسافرا الى بلاد الروم ، فبشر والدته به  
المجذوب الصالح الشيخ محمود وقال سيه عبد  
الفني فانه منصور ...

شغله والده بقراءة القرآن ثم بطلب العلم .  
فقرأ الفقه واصوله على الشيخ أحمد القلمي الحنفى ،  
والنحو والمعاني والبيان والصرف على الشيخ محمود  
الكردي نزيل دمشق ، والحديث ومصطلحه على  
الشيخ عبد الباقي الحنبلي ، وحضر دروس والده في  
التفسير بالمدرسة السليمية وفي شرح الدر بالجامع  
الاموي ، ودخل في عموم اجازته ، وحضر دروس  
النجم الغزي ودخل في عموم اجازته ، وقرأ ايضا  
وأخذ على الشيخ محمد الاسطواني والشيخ ابراهيم  
القتال ، وأجاز له من مصر الشيخ علي الشبراملسي ،  
وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق  
الكيلاي ، وأخذ طريق النقشبندية عن الشيخ سعيد  
البلخي ...

وابتدأ في قراءة الدروس والقائما والتصنيف لما  
بلغ عشرين عاماً وأدمن المطالعة في كتب الشيخ محي  
الدين بن عربي وكتب السارة الصوفية كابن سبعين  
والعفيفي فعادت عليه بركة أنفاسهم فأتاه الفتح  
اللدي ...

تأليفه ومصنفاته كثيرة وكلها حسنة ومتداولة  
مفيدة ونظمه لا يحصى لكثرتة ...

كان عالماً مالكا أزمة البراعة والبراعة فقيهاً  
متبحراً ، يدري الفقه ويقرره ، والتفسير ويحرره ،  
غواصاً على المسائل ، خبيراً بكيفية الاستدلال  
والدلائل ، ذا طير منقاد وبديهة مطوعة .  
هذا مع اقبال الناس عليه ومحبتهم له واعتقادهم



فيه ، ورأى في أواخر عمره من العز والجاء ورفعة القدر  
ما لا يوصف ، متعة الله بقوته وعقله حتى بعد أن جاوز  
التسعين ... (٢) .

يمثل هذا التقرّظ الذي أورده المرادي في  
« مسلك الدرر » يضيف المؤرخون الشرقيون  
والغربيون (٤) كالجابرسي ، والمحيبي ، وهرثان ،  
وبروكلمان ، وجلدميستر وغيرهم ، الشيخ الكبير عبد  
الغني النابلسي الذي يجتو اليوم بجوار أستاذه الشيخ  
الأكبر ابن عربي ، تحت قبة خضراء في مسجد بنه  
لنفسه في المهاجرين ، طاويا بخط دقيق كان يمشقه ،  
سنيما من الجهد والاثارة والعكوف والاعتزال  
والانسلاخ والرهبة والوله وبسط الاعين والنشوة ،  
تاركاً ما يزيد عن مئتي مؤلف من جنة ونار ، وبركة  
وقناديل وزيت يفيض ، ورفعة قوافي وتجريد وتفريد ،  
في مدائح ورياض ومسالك وتراجم وقصور وبلدان  
ورسائل وألحان وكؤوس رحيق ، فتميز برأي الجميع  
في الأدب أدباً ، وفي الفقه فقهياً ، وفي التفسير اماماً ،  
وفي التصوف قطباً ، حتى ليحسبه المرء أكثر من رجل ،  
وأكثر من مسلك ، وأكثر من نسائم وأكثر من عاصفة .

وهكذا في غوص ليس بالغوص ، وقبض ليس  
بالقبض ، يصل النابلسي بين نقطة البدء والعناصر  
الأربعة في أعينه السالكة الى المحجة : ؟ الخلق ؟  
الأرض والسموات ؟ ويطفئها . ماذا عن ؟ ماذا عن ؟  
وتأتي أجوبته قيد يمار ، وكلماته أثواب تشف ،  
والحقيقة أحجية تتمثل في المشق والذات الأخرى  
شجرة تظل الدل والدوح والجدول والحلم والمدام  
والجارية والغلام والكأس والطير والبرق ، بينما التيه  
ضوء في العقل وشموس في الوري ، لا يينه في بنية  
الا اذا خرج هو وخرجوا به عنهم وعنه ..

وفي هذه المثابة ، من الغيب المطلق عن سائر  
المقول ، تتأمل وتتعاظم لديه .  
الكيف :

كيف أمكن للعقل أن يؤمن ؟ ، وحقيقة الذنب  
بحسب الباطن بعد وصول التبليغ عن نفسه بنفسه  
عن نفسه ؟ ، ومن امتثل ثم خالف الأمر ...  
وكلام العلماء من أهل الرسوم ؟ وأقسام الذنب  
وحدّ الاصرار والتوبة التي تجب على الفور ؟ والتي  
هي خلقه ؟ كذلك النفس التي هي الروح ...  
باعتبارها كيفية بسبب اتصالها المخصوص ؟ ثم التوبة  
من التوبة ؟  
فينهر :

« بل ليصدق الوعيد . مقام التوبة هو الدخول  
في هذا السير مع هؤلاء السائرين .  
وما ثمّ الا رفع حجاب ومصادفة حجب أخرى . وكل  
تجليّ رفع لحجاب وسدل لحجاب آخر » يقول في  
كتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني ..  
ثم ماذا ؟ ماذا عن ابن غانم المقدسي ، وزيين  
العابدين البكري ، والشيخ الأكبر قدس الله سره ،  
ومحمد البكري ، والساقبي في التائية ؟  
ثم ماذا ؟ ماذا من حرف الصاد ، وعلام عن حرف  
اللام ؟

والحلم ؟ ماذا عن الدقيق والشمس والعشب  
والبحر .. تسائله دمشق ، وتسائله مكة ، وتسائله  
بغداد ، وتسائله القدس . فينهر :  
« ان تأس من رحمة ربك إياك ... وإياك ! »  
وينجلي ، لكان مرآته من الذهب المقنطر  
وينازل ، ويتكبر ، ويتحدى :  
وقلّمت ديوان التنزل كله  
فيهم بلفظ معجب وقلام



وأنت فيه بكل معنى رائق  
 في كل جارية وكل غلام  
 والقصد أتم بالجميع وذكرهم  
 هو ذكركم عندي على الإيهام  
 فأسير سير الغافلين بقولهم  
 أبداً وأقصد مقصد الاقوام  
 وأنا الذي في ظاهري متمسك  
 بشريعتي في سائر الأحكام  
 وأنا الذي في باطني متحقق  
 بحقائق التوحيد والإيهام  
 أنا مجمع البحرين موسى ظاهر  
 والباطن الغضر الأجل السامي  
 هيهات أن تنجو فراعين العدا  
 مني وبحري بالمعارف طامي  
 وعلي من أعين السراقد أعين  
 للحق تحفظني مدى الأيام  
 وأنا لأمليار الحقيقة مخرس  
 وأنا الامام بها لكل امام  
 والعارفون ريعتي في قبضتي  
 والغوث والأقطاب من خدامي  
 نحن الشموس وماخفافيش الوري  
 تستطيع تبصر غير محض ظلام  
 النابلسي (٦)

ثم يكسر الطوق في صور رشيقه وملتحمة  
 حيناً ،

أشعاع شمس من قرارة ماء  
 أم جسم نار في قيص هواء  
 وقضيب بان فوق غصن من نقا  
 أم بدر ثم طالع بسماء (٧)  
 مسترسلة وحنونة حينا بمداعبه وأنس ..  
 جفونك ثم خصرك ثم جسي  
 نحيل " في نحيل في نحيل  
 وردفك والعدول وشوق قلبي  
 ثقیل " في ثقیل في ثقیل (٨)  
 جائية مرة برقة وخفر ،  
 لاخبطت خالاً تحت صفحة خده  
 متوارباً خلف اللهب النافذ  
 فسأته ماذا المقام ، فقال لي  
 هذا المقام المستجير العائد (٩)  
 متهاذلة مرة في عدو نحو العطر ..  
 من لي بظبي وما للظبي لفتة  
 تقاسم الحسن في خلق وفي خلق  
 كأنما الورد منشور " بوجنته  
 والدر من فيه منظوم " على نسق (١٠)  
 منصرفة كالدخان مراراً حتى اللانهاية ،  
 تبارك الله ما في الدار ديار  
 إنما هي نيران وأنوار  
 قد أماطت سلسي عن براقعها  
 فوجهها مشرق والطرف سحار  
 وما الجميع سوى اشراق بهجتها  
 دوائر كلهم عنها وأدوار





إن أومات كانت الاكوان ظاهرة  
عنها وإلا ففيها الكل اسرار<sup>(١١)</sup>

عائدة كأنهار غسل الى راحتنا ،  
قف على باب حاتسي يانديمي  
علّ يرضى دخولك الخمار

واستمع صوت قينتي تنغني  
حيث جسي في كفتها مزار  
وجميع الوجود ليل لقوم  
جهلوا وهو عند قوم نهار

وجنان النعيم عند اناس  
واناس « ذا » عندهم هو نار<sup>(١٢)</sup>

ضاربة يداً بيد ، همساً بهمس ..  
ان السماع سماع الناي والوتر  
يسقي اراضي نفوس الناس كالمنطر<sup>(١٣)</sup>

حلقيه السقم والشجا والاحشاء الى الهاوية ،  
هلا " غنيتم بما غنى به الوتر  
فتسمعوا منه يا عشاقه وتروا

فإن في نفحة الطنبور بارقة"  
من البروق التي في القلب تستعر  
واستنطقوا الدف ينطق بالاشارة عن  
معنى بدا وهو في الاكوان مستتر

وهي المعاني تراءت في السماع لنا  
عنها لقد كان محجوباً بها البصر

واخبرتنا اشارات الصنوج بها  
نهم القلب منّا ذلك الخبر<sup>(١٤)</sup>

جائشة مع ملب غيث الجواهر كفجر كصارم  
تجر دعن غمد ، كما يقول ، بين شمس ضحى كدّس

من العسل يحوي المجد والطيب والاجناس ، بين  
لقاءات في الفقه والشعر والنحو تفر كنوز المطاء في  
غليل لا ينضب ، بين تفحات تاريخ من أعاجيب الوجود  
هي ميراث وأيام ميراث ...

ويقرر أن يرحل ...  
فيرحل للتبرك والنفع العام . ويرحل . كي يعود  
بشاشة « ورواية » :

أشرق بدر السبا على البحر  
كشل عقد الميع على النحر

تصقله الريح وهو يصقلها  
تجري به وهو تحتها يجري

والبحر أمواجه ترددها  
وسوسة المستهام في الصدر

او درجات الى علا شرف  
او عقد النافثات في السحر

زهت بيناتها « طرابلس »  
زهو رداح برقة الخصر

والزهر فينا يث تفتحه  
مع النسيم الذي أتى يسري

ونحن في الانس والسرور بلا  
أسمع الصخب بهجة العمر<sup>(١٥)</sup>

كذلك دقة وتصنيفا

وقد رأينا على حافة المينا أنواع المراكب والسفن  
وقد ذكر لنا اسماءها صديقنا الحاج نور الدين  
الطرابلسي المذكور ... لا بأس بذكر ذلك لتسم  
الفائدة . فاعلم أن انواع المراكب واسماءها كثيرة  
بلغت عدتها عشرين نوعاً :

الاول ماعونة ، الثاني غليون ، الثالث غراب ،

بينة ويسرة ، شيئا فوق شي . القسم الثالث سورها وما فيها وحوله . وكأنها في وصفها طائر أبيض في مرج أخضر يرشف ما يصل اليه من الماء أولا فأولا « (١٨) » غير العلم والشرع والمحاورة .

« ودعانا حضرة المفتي حفظه الله تعالى الى داره ، فذهبنا لمجلس وابتهجنا بأنواره وأنشدنا من لطائف الأشعار ... وجرت بيننا وبينه ابحاث علمية ومسائل فقيمة وقواعد نحوية ، فمن ذلك مسألة السرقة ، وأنه يقال في السارق « أخذ » لاسرق محافظة على السر ، ولأنه لو ظهرت السرقة لوجب القطع . وقد أورد حكاية لطيفة عن هارون الرشيد ذكرها صاحب « البحر الرائق شرح كنز الدقائق » وعبارته قوله ... فمجبوا منه وانتهى ... » (١٩) .

غير النقد في الحكم والعمارة .

« وقد رأينا في بلدة بيروت المحمية زوايا كثيرة وجوامع وحمامات فلا بأس نذكر محاسنها السنية ، فمن الزوايا زاوية مشرقة الانوار تسمى بزاوية ابن القصار ، وهي نيرة مرتفعة البنيان يجتمع فيها الحفاظ مابين المشائين يتدارسون بها القرآن ، ومنها أيضا زاوية تسمى بزاوية ابن الحمرا يقام فيها الذكر والاوراد ، وبها حفاظ تقرأ ، وهي متسعة ، بها ايوان به محراب كبير ، وفيها بركة ماء بجانبها بئر يستخرج منه ماء غزير ... »

والجوامع التي بها أربع : الاول الجامع الكبير وهو يشتمل على اثني عشر عضاضة كل عضاضة يحوملها رجال . وهي عظمة العمارة ، يقال أنه كان في الاصل كنيسة ... واما حماماتها فأیضا أربعة : الأول حمام الأمير فخر الدين بن معن ، الثاني حمام القيشاني الثالث حمام الوزاعي ، الرابع قديم لا يعرف له اسم ، وكلها مهجورة ، ماعدا حمام الأمير فخر الدين

الرابع قرامرسل ، الخامس زربونة ، السادس شائعة ، السابع غليظة ، الثامن سنبلية ، التاسع قايق ، العاشر قياصة ، الحادي عشر معاش ، الثاني عشر تقيرة ، الثالث عشر شختورة ، الرابع عشر فلوكة ، الخامس عشر تقليبة ، السادس عشر شوطية ، السابع عشر شنب ، الثامن عشر قارب ، التاسع عشر برقة ، العشرون شكناية . » (١٦) .

أيضا اسطورة ومطرافه ...

« واخبرني بعض الناس أن في جبل الدروز قلعة كانت في اعلى الجبل ، فبات أهلها في ليلة ، فلما أصبحوا ، وجدوا القرية وجميع ما فيها مع أهلها كلهم ويوتهم صاروا في أسفل الوادي هناك ولم يخرب منها شيء ، ولا تضر أحد ولا سقطت شجرة ، وهي الآن باقية واسمها الزاحلة » (١٧) .

غير الفريدة والتقنية والوصف ،

« وقد اطلعنا حضرة الباشا في هذا اليوم على كتاب عجيب وأسلوب غريب يسمى : « نجمة الدهر في عجائب البر والبحر » لابي طالب الدمشقي . ذكر في الباب السابع في الفصل التاسع محاسن دمشق وجامعها المعمور ، ان من خصائصه انه لا يوجد فيه عنكبوت ولا في سقفه ولا في حيطانه ، ولا يفرخ فيه المصنور مع كثرته فيه ، ولا يمشش فيه وزعة .

ثم قال دمشق مقسومة ثلاثة أقسام . قسم مبثوث العمارة في غولتها ، لو جمع لكان مدينة عظيمة ما بين شواحق وقصور وقاعات وطواحين وحمامات وأسواق عظيمة وجوامع ومساجد ومشاهد غير القرى والضياح . القسم الثاني تحت الارض . ومنها مدينة أخرى من متصرفات المياه والجداول والقنى والمسارب والقنوات تحت الارض حتى لو حفر الانسان أين ما حفر وجد الماء مشتبك طبقات



نفسه وهما الاول للعالم الفرنسي دي مونكوني  
De Maucony والثاني للانكليزي بـمـد النابلسي  
روبرت Robert Uood •

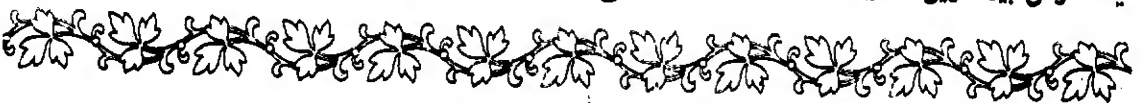
كما يؤكد Burse ان مآثر « الحضرة الانسية في  
الرحلة القدسية » تكمن في وصفها المزارات الاسلامية  
في القدس ، وان كتاب « الحقائق والمجاز في رحلة  
بلاد الشام ومصر والحجاز » يحدد المواقع الجغرافية  
في شبه الجزيرة العربية آخذاً بالوصف واحداً وثلاثين  
مركزاً (٢١) . . . . . ساهبا وتقصد هنا Burse عن  
التنويه كجميع أقرانه مثل جلد مايستر ، وجراف  
وفون كريم او حتى الصحفي المصري (٢٢) ديبـتـري  
نقولا ، عـاـتـتـه هـذه الرحـلات في انعكاساتها من  
ميادين سياسية أو غايات روحية ودينية تغلف هذه  
المآثر وتتجوهـر فيها .

بينما أن النابلسي نفسه يذكر في مقدمات هذه  
الرحلات ، أن كل ما أورده من كرامات ومعجزات  
ورسم مساجد وكنائس ، وأضرحة واستراحات ومآكل  
ومشارب وروايات منقولة ومجادلات علمية وفقهية ،  
صبها في قوالب أدبية ترمي في الظاهر الى غايات  
اجتماعية وسياسية ، الا أنها تخدم في الحقيقة الخاطرة  
الكشف التي بوده أن يزفها الينا ، والموعظة الأزلية  
التي يحن الى الارتواء والارواء منها ، نافذاً من خلال  
الزمان والمكان والانسان في سمية اليومي الى رحلة  
النفس الى الكل ، التي هي رحلة التقوى ، بعد الرحلة  
الى الداخل ( نذكر هنا باعتكاف النابلسي في داره  
سبع سنوات كاملات لا يخرج فيها ولا يقص شعره  
ولا يقلم اظافره حتى ظنه الكثيرون أنه جن ) حيث  
تفتتح في قلب السالك اخضرار الكلمة ، عظمة الخالق  
والخلق ، وقداسة الخطوات .

وسبب ذلك الظلم من الحكام . فان هذا حمام للميري ،  
ويؤجره الحاكم في كل سنة ، هو وقهوة هناك بألف  
قرش ومئتي قرش ! وهذا الحمام مبلط بالرخام الملون ،  
يشتمل على شاذروان في داخله ، يحوط بجوانبه  
الاربعة اربعة ايوانات . كل ايوان بقبو وقوس ، وفي  
مسلكه بركة ماء مشتمة ، ويشتمل على قبة مرتفعة  
على أربعة عواميد ، يحوط بتلك القبة اربعة أقبوة  
على أسلوب جامع الأمير عساف غير أن الجامع يزيد عليه  
بالقبة وفي هذا القدر كفاية ونسأله تعالى الغنامة» (٢٠)

لذلك ، لا يسعنا بعد هذا السياق كله ، الا أن  
نشيد بما أكده هربرت بوسه Vou Herbert Burse  
في تقديمه للرحلة الطرابلسية على أن كتب ومخطوطات  
العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي مصدر من مصادر  
معرفة البلاد العربية ، وان هذه الكنوز الحجة المنتشرة  
في الشرق والغرب ( والتي يصنفها كارل برو كلـسان  
بـألف وخمسين كتاباً ويلحظ الخالدي بأنها تقارب  
المائتين وخمسين ) مازالت محجوبة في معظمها وتنتظر  
أن يبين نشرها أهمية النابلسي وتأثيره آنذاك ، فترسم  
لنا صورة واضحة للحركة الادبية في دمشق وجوارها  
في القرنين السابع عشر والثامن عشر (٢١) .

الا أن بوسه Burse كأكثر المستشرقين ، يركز  
اهتمامه بالدرجة الاولى على كتب الرحلات ، لما تحمله  
هذه الرحلات من معلومات علمية وفنية . فيروي عن  
« رحلة الذهب الأبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز »  
التي ألفها النابلسي في ذي القعدة عام ١١٠٠ هـ بعد  
رحلة قام بها الى بعلبك ان هذا الاثر أثار اهتمام  
غوستاف فلوجل Gwolauf Flugel فنشر فهرساً  
لمحتويات هذه المخطوطة لوصفها معبد بعلبك من  
حيث الزمن بين أثريين أوربيين تناولا هذا الموضوع



مع ذلك يظل يحرق في الحدس والفكر وينهمر

— ٦ —

موجود في نفسه ، وهو بالنسبة الى وجود النهار  
معدوم ... (٢٥) .

هابطاً الى اللحظة المحرقة بين اللب وهذب العين  
التي هي العدمية وفي الآن ذاته هي الحياة .

محاورة محاوراً دون كلل :

« ان سَبَقَ الكلمة بالسعادة هي المركز .  
والمركز تردد وحشي » في طلب الآيات ظليز مقام  
الادلالات في القرب المحمود . والشيطان ( مبتدأ ) في  
الحس ( خبر ) في المعنى . والحس هو السائر للاتحاد .  
والستر مستور فكيف يستر » (٢٦) .

موجها مع الزمن ، هذا الاحتراق الكامل  
والرؤى ، من الابهام المحض الى التبسيط ، محولا  
العجز الشرعي وتفكك المنازلات الى العمل الجماعي  
الهادف في صيرورة خلايا الذكر والتواجد المنظم  
المشترك ، باعاً من الظلمة والخوف والحيرة هالات  
من البراءة الضمنية والطهارة وانهر من الحنان  
والعطاء ، باعاً في كل لحن ينشد له ، فضيلة صوفية ،  
تجد صدى لجوارحها ، في ذلك العشق الالهي الباعث  
الى الطمأنينة ، والفرح والحياة .

والى الغد ، والى ما بعد الغد ، سنظل نراه في  
حضرة تلاميذه ، ضارباً بالدف ، ضابطاً الايقاع .  
سيدا ، منشدا ، متنعماً ،

« ياساقي الله الساقي اسقينا من خمر الباقي  
ياساقي

محبوبي ظاهر يتجلى بالوجه الباهر للعشاق  
في حكمة قاهر

ياساقي ياساقي

« اذا قيل لنا ما السبب في أن العقل التام لا يمكنه  
ان يدرك الرب سبحانه وتعالى ، مع انه قدر ان يدرك  
كل شيء . قلنا له : الله تعالى في غاية اللطافة ، والعقل  
بالنسبة اليه في نهاية الكثافة . واللطف يدرك الكثيف  
والكثيف لا يدرك اللطف . ولهذا ترى الجسم لا يمكنه  
أن يدرك العقل لشدة لطافة العقل بالنسبة اليه . وأما  
العقل فيدرك الجسم . وقد قسم الله الى لطيف  
وكثيف . وحجب الاول عن الثاني . ولم يحجب  
الثاني عن الاول » (٢٣) .

النابلسي

فيذوب هذا الرجل القطب جارحة وحجة ، حول  
عميق المعاني ، قلائدها ومكنوناتها ، مقتصا من جسيم  
المصنفات واغترابها لطفاً واعتدالاً . فنراه يقف بين آراء  
السلف والخلف ، مواقف المعتزلة والأشعرية ، القدرية  
والعبرية ، علوم الطريقة الشريفة والحقيقة ، موقفاً  
حازماً واثقاً ثابتاً انما فيه كثير من الحكمة والتيسير .

فنجده آخذاً تفحات اولياء الكلمة كابن العربي (٢٤)  
وابن الفارض والبيضاوي والبركلي وارسلان  
والاشعري والماتردي وغيرهم الى صدره ، قاسماً  
بطريقة مميزة العلوم الى قول فهم وشهود ، سائراً  
بالسليم نحو التأويل وفي آن مما بالتأويل نحو التسليم ،  
صارفاً اللفظ الى أكثر من معنى والإحتمال الى أكثر  
من احتمال . كصفة اليد والايدي والقدرة والارادة  
والسخرية والفرح والضحك وما اليه من صفات أزلية  
ومستوفاة لله ، مسلماً ان وجود العبد اولاً وآخره  
وجود في ذاته وهو بالنسبة الى وجود الرب عدم  
محض ، لا يمكن ان يختلط أحدهما بالآخر ، كما الليل





اكشف لي عنك في ذاتي وافتح لي دثك  
واجعلني يا حيي اناك  
يا ساقى ...»

محطما بصوته الحنون تماثيل التحجر والجمود  
في عيون جميع الذين يذكرون الله قياما وقعودا وبالرفع  
وبالانعام والترديد .

اولئك الذين ينادون إيل ، وينادون لاهبا ،  
ويذكرون بالخلق حي ، ويسكرون بالحرف الواحد  
كقولهم كاف اوهاء او ياي<sup>(٢٦)</sup> ويتجاذبون ،  
ويتحاضنون ، ويتماسكون بالايدي ، ويرزعون الاقدام  
في الارض ، ويقولون هو ، ويقولون ها ، ويقولون  
هي ، ويفردون الاجنحة ويطيرون .

### المراجع:

- (٨) المصدر نفسه ص ٢٨ .
- (٩) المصدر نفسه ص ٢٨ .
- (١٠) المصدر نفسه ص ٢٩ .
- (١١) « ديوان الحقائق ... » ص ١٥٦ .
- (١٢) المصدر نفسه ص ١٥٤ .
- (١٣) المصدر نفسه ص ١٥٣ .
- (١٤) المصدر نفسه ص ١٥٥ .
- (١٥) « التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية » ص ٦٩ .
- (١٦) المصدر نفسه ص ٧١ .
- (١٧) المصدر نفسه ص ٢٧ .
- (١٨) المصدر نفسه ص ٢٧ .
- (١٩) المصدر نفسه ص ٦٢ .
- (٢٠) المصدر نفسه ص ٤١ - ٤٤ .
- (٢١) المصدر نفسه المقدمة .
- (٢٢) « الحضرة الانسية في الرحلة المقدسية » للنابلسي  
وقف على طبعها ديمتري افندي نقولا . جريدة  
الاخلاص سنة ١٩٠٢ ( المقدمة ) .
- (٢٣) « الفتح الرباني والفيض الرحماني » ص ١٠٩ .
- (٢٤) « شرح جواهر النصوص في حل كلمات النصوص »  
للنابلسي على كتاب نصوص الحكم لابن عربي .  
مطبعة الزمان . امام سراي منصور سنة ١٣٠٤ هـ .
- (٢٥) « الفتح الرباني ... » ص ١٠٧ .
- (٢٦) المصدر نفسه ص ٦١ .
- (٢٧) « الالهامات الالهية على الوطيفة الشاذلية  
البشرية » تأليف محمود ابو الشامات . مطبعة  
بيروت سنة ١٩٦٠ . ص ٦٢ .

□ □

- (١) « الفتح الرباني والفيض الرحماني » للنابلسي .  
نشره وعلق عليه الاب انطونيوس . المطبعة  
الكاثوليكية بيروت . ص ٦٨ .
- (٢) « ديوان الحقائق ومجموع الرقائق » للنابلسي  
المطبعة الشرفية في مصر . خان ابي طافية سنة  
١٣٠٦ هـ . ص ٨ .
- (٣) « مسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » لابي  
فضل محمد خليل المرادي مطبعة مصر سنة  
١٣٠١ هـ . صفحة ٣٠ - ٣٨ .
- (٤) « التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية »  
للنابلسي . حققه وقدم له هريوت بوسه المعهد  
الالمانى للابحاث الشرقية في بيروت ١٩٧١ ( المقدمة ) .
- (٥) « الفتح الرباني ... » ص ١٠٨ .
- (٦) « ديوان الحقائق ... » ص ١٠ .
- (٧) « الفتح الرباني ... » ص ٢٥ .

